

بسم الله الرحمن الرحيم

٧ / ١١ / ١٤٣١ هـ (ج)

مبنى الإسلام على التوحيد

عباد الله: اتقوا الله تعالى وأطيعوه، واذكروه واشكروه، إذ خصكم من بين الأنام اصطفى لكم دين الإسلام، وأكملة لكم وأتم عليكم به الإنعام، وجعله الدين الخالد المحفوظ بحفظ الله له على مر الدهور والأعوام: (لا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ).

عباد الله: إن مبنى دين الإسلام يقوم على مقتضى الشهادتين: شهادة أن لا إله إلا الله، وشهادة أن محمداً رسول الله؛ اللتين لا يحكم لأحد بالإسلام إلا بالتلفظ بهما، والاعتقاد لمعناهما، والالتزام بالعمل بمقتضاهما، ونبذ كل ما

خالفهما وضادهما. ومعناها أن لا يعبد إلا الله وحده لا شريك له، فلا معبود بحق سواه، فكل معبود معه أو من دونه فعبادته باطلة، وعابده من المشركين الجاحدين، وإن عد نفسه من المسلمين، قال تعالى: (وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِيَ إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ). وقال تعالى: (وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنْ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ).

وصرح سبحانه أن كل رسول خاطب قومه أول ما خاطبهم فقال: (يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ). ونعى سبحانه على المشركين الذين جعلوا أهواءهم، وأصنامهم وأوثانهم أنداداً لرب العالمين، فساووههم به في المحبة والخضوع والطاعة في المشروع والممنوع، وأنهم يندمون على تلك التسوية يوم

الدين حين لا ينفع الندم، إذا دخلوا النار مأوى شر الأمم (قالوا وهم فيها
يَخْتَصِمُونَ تَاللَّهِ إِنْ كُنَّا لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ إِذْ نُسَوِّكُم بِرَبِّ الْعَالَمِينَ).

عباد الله: إن الله تعالى لا يعبد إلا بما شرع على لسان نبيه ورسوله محمد
، فلا يعبد بالأهواء ولا البدع، قال تعالى: (اتَّبِعُوا مَا أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ وَلَا
تَتَّبِعُوا مِن دُونِهِ أَوْلِيَاءَ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ) ، وقال سبحانه: (وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي
مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ ذَٰلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ
لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ). وقال سبحانه: (شَرَعَ لَكُم مِّنَ الدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِ نُوحًا وَالَّذِي
أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰ أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا

فيه كَبَرَ عَلَى الْمُشْرِكِينَ). إلى قوله: (فَلِذَٰلِكَ فَادْعُ وَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ
وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ).

فجعل تعالى الهوى مقابلاً للدين، فكل من تدين بدين لم يشرعه الله
فحقيقة أمره أنه متبع لهواه، قال تعالى: (أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ الهه هَوَاهُ وَأَضَلَّهُ اللهُ
عَلَىٰ عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَىٰ سَمْعِهِ وَقَلْبِهِ وَجَعَلَ عَلَىٰ بَصَرِهِ غِشَاوَةً فَمَن يَهْدِيهِ مَن بَعْدَ اللهُ
أَفَلَا تَذَكَّرُونَ). وقال تعالى: (مَن يُطِيعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللهَ وَمَن تَوَلَّىٰ فَمَا
أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا) ، وقال سبحانه: (وَمَن يُطِيعِ اللهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَٰئِكَ مَعَ
الَّذِينَ أَنْعَمَ اللهُ عَلَيْهِمْ مِّنَ النَّبِيِّينَ وَالصَّادِقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَٰئِكَ
رَفِيقًا). وقال سبحانه: (وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا لِمُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَىٰ اللهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا

أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخَيْرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُبِينًا) ، وقال جل وعلا: (وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمُ عَنْهُ فَانْتَهُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ). وقال سبحانه: (فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ).

عباد الله: ولقد تواتر عن النبي الوصية للأمة بالتمسك بالكتاب والسنة، وأن فيهما لمن تمسك بهما العصمة من كل ضلالة، والسلامة من كل فتنة، والنجاة من كل هلكة. وما أشكل فهمه من نصوص الكتاب والسنة، أو لم يعرف وجه تطبيقه وتحقيقه، فإنه يرجع إلى صحابة النبي، فإنهم خلفاؤه الراشدون، وهم من بعده أئمة أمته المهديون، قال كما عند (حم، د، ت، ج

(: "إنه من يعيش منكم فسيرى اختلافاً كثيراً؛ فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين، تمسكوا بها، وعضوا عليها بالنواجذ". وقال حذيفة: (كل عبادة لم يتعبدها أصحاب محمد فلا تتعبدها فإن الأول لم يترك للآخر مقالا). وقال عمر بن عبد العزيز رحمه الله: (سن رسول الله وولادة الأمر من بعده - يعني الخلفاء الراشدين وأئمة الصحابة المهديين - سننا، الأخذ بها تصديق لكتاب الله، واستكمال لطاعة الله، وقوة على دين الله، ليس لأحدٍ تغييرها ولا تبديلها ولا النظر في شيء مما خالفها، من عمل بها مهتد، ومن انتصر بها منصور، ومن خالفها اتبع غير سبيل المؤمنين، وولاه الله ما تولى، وأصلاه جهنم وساءت مصيراً).

عباد الله: فالكتاب وما كان عليه السلف الصالح من هذه الأمة، هي براهين الحق، ومعالم الهداية وموازين الأمور، وهي التي تزكي النفوس وتطمئن القلوب، وتشرح الصدور وتطور البصائر، وترجح العقول وتسدد الأقوال، وتصلح الأعمال وتجمل الأحوال، وتحسن المآل، وما سوى هذه الثلاثة فهي شر المحدثات، وأنواع الضلالات المهلكات، التي تصد عن الهدى، وتنافي التقوى وتجلب العمى، وتورث الشقاء، ولهذا كان النبي ينهى عنها في كل خطبة جمعة فيقول كما خرجته (م وغيره): "أما بعد؛ فإن خير الحديث كتاب الله، وخير الهدي هدي محمد، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة". اللهم.....

الحمد لله:

عباد الله: جاء التحذير من البدع في أحاديث كثيرة ومناسبات متعددة وصيغ بليغة؛ كقوله في (خ م): "من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد". وفي رواية لمسلم: "من علم عملاً ليس عليه أمرنا فهو رد". وقال كما عند (ت): "لا يؤمن أحدكم حتى يكون هواه تبعاً لما جئت به". وفي (خ م): "إن أقواماً يطردون عن حوضه يوم القيامة كما تطرد الإبل العطاش، فيقول: أمتي" وفي رواية: أصحابي، فيقال: إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك".

وفي صحيح مسلم من حديث جرير بن عبد الله، عن النبي قال: "من سن في الإسلام سنة سيئة كان عليه وزرها ووزر من عمل بها إلى يوم القيامة من غير

أن ينقص من أوزارهم شيء ". وفيه أيضاً عن أبي هريرة أن رسول الله قال: " من دعا إلى ضلالة كان عليه من الإثم مثل آثام من تبعه لا ينقص ذلك من آثامهم شيئاً ". وفي الصحيحين عن ابن مسعود أن النبي قال: " ليس من نفس تقتل ظلماً إلا كان على ابن آدم الأول كفل من دمها ؛ لأنه كان أول من سن القتل ". وروي عن النبي في المراد بقوله تعالى: (وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ) " أنهم أصحاب الأهواء والبدع ليس لهم توبة ".

عباد الله: وإنما جاء هذا الوعيد الشديد لأهل البدع؛ لأن البدع تفسد القلوب، وتفتح للشيطان الباب، فيزين للمبتدع سوء علمه، ويغريه ببدعته، حتى

يرى المعروف منكراً والمنكر معروفاً، فيعرض عن الحق حين يدعى إليه، ويشغل بشر ما هو فيه، ويسعى في تغيير الدين، وإضلال المسلمين، وتشتيت الكلمة، وتفريق الأمة، حتى يفرق الناس دينهم شيعاً، كل حزب بما لديهم فرحون.

عباد الله: إن البدع في الدين أصل كل بلاء وفتنة، فإنها حدث في الدين وتغيير للملة، ومن شؤمها أنها لا تزيد أصحابها من الله إلا بعداً، وحظهم من اجتهادهم وتعبهم في بدعهم أن تصدهم عن الحق صدأً، وصدق الله العظيم إذ يقول: (قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالاً الَّذِينَ ضَلَّ سَعِيَّهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا

وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا أُولَئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ وَلِقَائِهِ
فَحَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فَلَا تُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَزَنًا).

فاحذروا البدع عباد الله وأهلها، فإنهم أعداء السنة النبوية، ودعاة
الجاهلية، وهم عباد الهوى، الصادون عن الهدى، فما أشأمهم على أنفسهم! وما
أشقى المجتمعات بهم! إنهم دعاة على أبواب جهنم، من أطاعهم قذفوه فيها،
فاحذروهم وحذروا منهم، وعادوهم وتقربوا إلى الله بعداوتهم ومقتهم،
أعوذ بالله من الشيطان الرجيم: (وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ
الْهُدَى وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّى وَنُصَلِّهِ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا).